لا أحد ...

قصة بقلم مصطفى أبو الدهر

ـ اسمك ايه ؟
ـ محاسن
ـ . . . . . .
ـ عجبك ؟
ـ لا
ـ لماذا ؟
ـ لاينطبق عليك تماما
ـ الا اعجبك ؟
ـ قليلا
ـ لماذا اخترتني اذن ؟
ـ احسن الموجودين
ـ انك سخيف
ـ . . . . . .
ـ الا تطلب لي شيئا ؟
ـ ليس هنا
ـ اين اذن ؟
ـ في البيت
ـ وهل سنذهب الى بيتك الان ؟
ـ ايوه ..
ـ ولكن ..
ـ اترفضين ؟
ـ لا .. ولكن
ـ ولكن ماذا ؟
ـ انك لم تطلب شيئا هنا
ـ . . . . . .

* * *

وقف ، فوقفت هي ايضا ، وكانت الموسيقى تنبعث من اقصى القاعة، فتلفت حوله ، ثم سار تجاه الباب الخارجي . وترددت هي قليلا ، الا انها هزت رأسها ، ثم تبعته ، وهي تسرق النظر الى الذين يجلسون على الموائد من حولها .

وفي الخارج ، كانت الشوارع خالية تماما ، وسارا جنبا الى جنب صامتين . وفي نهاية الشارع ـ عند الميدان ـ كان ثمة عربة اجرة واقفة، وكان سائقها منكفئا على عجلة القيادة . اقترب من العربة ، وضغط على الاكرة ، فاستيقظ السائق ، والتفت اليهما .

ـ على فين ان شاء الله ؟
ـ الدقي من فضلك

وفي السيارة ، اقتربت « محاسن » منه ، وحاولت ان تلتصق به، ولكنه ابتعد عنها ، وظل يحدق في الشوارع الخالية من النافذة الجانبية فشعرت بشيء من الندم ، ولكنها لم تهتم ، بل مدت يدها واطبقت على كفه ، فتركها ملقاة بين اصابعها وكأنها كف ميت ..

ـ يمينك يا أسطى ... شمالك .. ايوه هنا ..

ونقد السائق الاجرة ، ونزلا ، وامسكها من ذراعها ، فأحست ان اصابعه تضغط عليها في عصبية وقسوة ، فهمت ان ترجوه ان يخفف من ضغطه ولكنها لم تفعل . وسارا قليلا ، ثم دخلا في احد المنازل العالية . وفي المصعد كان يحدق فيها وهو صامت . اما هي فقد اخذت تتامل ملامحه . كانت جامدة ، مستقيمة ، حادة ، ولكنها فشلت ، او خيل اليها ذلك ، فابتسمت ، فبادلها ابتسامة مصنوعة ، ولكنها شعرت بما يبذله فيها من مجهود كبير ، فاطرقت . وظلت هكذا حتى توقف المصعد، ففتح الباب ، وتركها تخرج قبله . وسارا في دهليز طويل ، مظلم ، صامت، الا من وقع اقدامهما .

* * *

انبعث ضوء اصفر خافت من مصابيح جانبية معلقة على الجدران . وكانت هناك لوحات زيتية ، يغلب عليها اللون الرمادي الداكن ، قد غطت جزءا كبيرا من الحائط المواجه لها . وكانت قد جلست على كنبة عريضة عليها غطاء ازرق . وعاد وهو يحمل زجاجة من الكونياك الفرنسي فوضعها على مائدة منخفضة امام الكنبة ، وجلس بجوارها .

ـ الان نستطيع ان نشرب .
ـ . . . . . .
ـ الا يعجبك هذا النوع ؟
ـ كلا .. ولكن ..
ـ دائما ولكن .. ولكن .. ماذا !؟
ـ انا لااشرب
ـ نكتة لطيفة
ـ انني اتكلم جادة
ـ وانا لااصدقك
ـ لماذا !؟
ـ الم تطلبي بنفسك الشراب هناك !
ـ هذا شغل
ـ وما الفرق ؟
ـ اننا لانشرب خمرة
ـ ماذا تشربون اذن ؟
ـ مشروبات تشبهها في لونها فقط
ـ نوع من الغش
ـ كلا انه شغل
ـ ونحن ندفع
ـ تماما

ومضت فترة صمت ، كان يعبث فيها بشعرها ، ثم قال :

ـ ولكن لابد ان تشربي معي الان
ـ انني لااتحملها
ـ لا اصدق .. كما لااحب ان اشرب وحيدا
ـ لست وحيدا ، الا اجلس معك
ـ لايكفي
ـ لااستطيع
ـ كاس واحدة .. والا
ـ والا ..! والا ماذا ؟
ـ أزعل

فضحكت قائلة : اذن هات .

وملأ كأسين ، وقدم لها واحدة ، وما كاد يقربها من فمه حتى تدارك قائلا :

ـ نسيت .. الا تتعشين
ـ لست جائعة
ـ ستاكلين معي

رفعت الكأس الى فمها ، ورشفت منها قليلا ، فبـــدا عـلى وجهها الاشمئزاز ، ولكنه كان يتأملها ، فتجرعتها كلها ، ثم لاكت قطعة من اللحم، وظلت تراقبه وهو يضع قطع الثلج الصغيرة في الكأسين .

ـ اوه .. كلا .. انني لن اشرب ثانية

ـ ستشربينه .. انها اجمل شيء في الحياة

ـ ولكنها تصيبني بالصداع

ـ ان ماتشعرين به ليس صداعا

ـ ماذا اذن ؟

ـ انه صوت الارض وهي تدور .. انها تزيدنا يقظة ووعيا فنسمع ونحس بكل ماحولنا .

فأطلقت ضحكة عالية وقالت : يبدو انك فيلسوف .. ماهـــي صناعتك ؟

ـ انني .. انني

فعبرت بعينيها على اللوحات وسألت : رسام ؟

ـ كلا .. انا كاتب

ـ في أي مصلحة ؟

ـ كلا .. انني اكتب قصصا

ـ يعني مؤلف ؟

ـ بالضبط

ـ انني احب القصص

ـ هل تقرأين ؟

ـ كثيرا جدا

ـ مثل ؟

ـ لاأذكر

فضحك قائلا : انك تكذبين

ـ كلا .. قرأت غادة الكاميليا

ـوهل اعجبتك ؟

ـ مسكينة مرجريت .. ماتت وهي شابة

ـ ليس هناك اجمل من الموت في الشباب

ـ لم تتهن بشبابها

ـ ليس هذا هو المهم ، لقد عاشت حياة رائعة

ـ ابدا .. كانت معذبة مثلي

فتأملها صامتا ثم قال بعد برهة : اشربي .

امتدت يدها دون ان تنبس ، وأمسكت بالكأس ، وتأملته قليلا ، ثم شربته دفعة واحدة . واستندت على ظهر الكنبة واخذت تحدق فيه ، ثم سألته قائلة : ـبالحق انت اسمك ايه

ـ حمـدي

ـ حمدي ايه ؟

ـ حمدي راشد

ـ سمعت عنك من قبل

ـ اين ؟

ـ لا أذكر .

فارتسمت على شفتيه ابتسامة وسألها : لم لا تأكلين ؟.

الا انه لم ينتظر منها اجابة ، فقد امتدت يده وتناول قطعة مـــن اللحم ، وقدمها لها ، ولكنها لم تتحرك ، فاقتربت يده بها واطعمها اياها. فضحكت وهزت رأسها ، وبدت على محياها نشوة عميقة ، فاقترب منهـا وطوقها بذراعيه وقبلها .

* * *

وبدون ان يسألها ، قدم لها كأسا أخرى ، فتناولتها منه ، وظلـــت تحدق فيها ، ثم وضعتها على المائدة كما هي .

ـ لمـاذا ؟

ـ أحس بدوار

ـ قلت لك ليس هذا دوارا

ـ لاتخدعني

ـ انه الشعور بما حولك

ـ لاافهم هذا الكلام

ـ اشربي هذه الكأس ، وستفهمين كل شيء بعدها

ـ لااريد ان افهم شيئا

ـ لمـاذا ؟

ـ . . . . . .

تناول الكأس ، وسقاها بيده .

نز عرق بارد على جبهتها ، فشعرت بسخونة لاهبة تحت جلدها ، فوقفت وخلعت البلوزة ، فبدا ذراعاها طويلين أملسين . رفع حمدي بصره اليها ، واخذ يتأملها وهي تتمايل محاولة اغراءه . فهب واقفا ، وحـاول تطويقها بذراعيه ، ولكنها انزلقت من تحتهما وعادت فجلست على الكنبة، وتخلصت من حذائها ، وجعلت تهز ساقيها في دلال ، ثم تركت رأسها يسقط على ظهر الكنبة . واخذت تحدق اليه . كان يشرب في نهم ولا يفتأ ينظر اليها بين لحظة واخرى .. ثم سألها : ـ مالك ؟

ـ أريد ان انام

ـ الان ؟

فضحكت قائلة : لا .. الاسبوع القادم

ـ ما الذي تشعرين به ؟

ـ السأم

فتمتم قائلا : السأم !! كلمة غريبة .. من ماذا ؟

ـ من حياتي .. اريد ان أموت

ـ انت شابة

ـ ألم تقل : ان اجمل شيء في الحياة ، هو الموت في الشباب .

ـ مجرد كـلام

ـ تبيع الكلام ، انت غشاش .. مثلنا تماما

ـ لمـاذا ؟

ـ انك لاتعرف الحب

ـ لااحد يعرفه مثلي

ـ مغرور وتافه .. وحب مرجريت ؟

ـ لم تعش في الواقع

ـ الواقع مؤلم

ـ كلا انه جميل .. جميل جدا

ـ بالنسبة لك فقط

ـ لاتخدعني ، انني اعرف حياتي جيدا

ـ حياتك .. حياتك

ـ . . . . . .

ـ هيا ننام

ـ كلا انني تعبانة

ـ مم

ـ من لاشيء

اخرج سيجارة وأشعلها ، واخذ ينفث دخانها وهو يتأملها .. كانت مستلقية على ظهرها ، وعيناها ثابتتان على اللوحات المعلقة امامها.

ـ أتحب الرسم ؟

ـ جـدا

ـ بكم اشتريت هذه اللوحات ؟

ـ لا اذكر

ـ تمنيت لو يرسمني احد

ـ اعرف صديقا رساما

ـ ايرضى ان يرسمني ؟

ـ طبعـا

ـ قال احدهم مرة ، ان وجهي لايصلح للرسم .

لم يجب حمدي بشيء ، ظل يرنو اليها : كانت ثمة افكار قد بدأت تدور في رأسه ، لايستطيع ان يتصورها عارية امامه ، ان وجهها يبدو الان ـ على الرغم من انه كان قد قال لها انها ليست جميلة ـ مليئا بمعان

كثيرة ، ان نظراتها التائهة، وشفتيها المضمومتين على أسى دفين ، بدأت تمد خياله بقصة طويلة ، وتمنى لو استطاع أن يكتبها . لم تعد مجـــرد امرأة يريد منها ان تعيش معه ليلة ثم ينساها .. تمنحه متعة ثم تتلاشى. انها لاتشرب الخمر ، شربته مجبرة ، هو الذي اجبرها ، لقد فتحت طاقة كانت مغلقة في رأسها .

انتبه اليها وهي تتحرك قائمة ، ونظرت اليه : كانت تدعوه ولكنه لم ينطق بحرف ، جذبها من يدها واجلسها بجانبه .

ـ الا تريد ؟
ـ كلا
ـ لمـاذا ؟
ـ لاادري
ـ لماذا اتيت بي الى هنا اذن ؟
ـ كنت .. ولكنني الان
ـ لقد ضايقتك بكلامي
ـ على العكس ، انني سعيد بمعرفتك
ـ انت تكذب
ـ ولمـه ؟
ـ تجاملني
ـ انني لا أجامل احدا في حياتي

فابتسمت ، والتفتت اليه واخذت تتأمله ثم سألته قائلة ، بصوت شعر انه يخرج من صدرها : ـ هل ستكتب قصة عني ؟

ـ ربمـا
ـ شيء سخيف
ـ ما هـو ؟
ـ مجرد قصة
ـ حياتنا ماهي الا مجموعة قصص
ـ فقط !
ـ فقط !
ـ الا يعيش احد من الناس
ـ كلنا نعيش
ـ كلا .. انني ميتة
ـ ميتة !!
ـ ميتة تتكلم
ـ ماهذا الذي تقولينه
ـ ماذا !؟ الا يعجبك
ـ انت سكرانة
ـ بالعكس .. لم اشعر بوعي ابدا كالان .. انني اقف امام نفسي تمـاما .
ـ انك تعبرين بطريقة غريبة
ـ انني اعرف نفسي .. ما انا الا امرأة لليلة واحدة
ـ انت تعبانة

شوحت بيدها في الهواء ، وابتعدت عنه قليلا ثم قالت :

ـ هل تسمح ان انام عندك الليلة ؟
ـ طبعا ، ادخلي هذه الحجرة
ـ ألن تنام معي ؟
ـ كـلا
ـ لمـه ؟
ـ لا ادري
ـ انك لا تحبني
ـ . . . . . .
ـ لا احد يحبني اطلاقا
ـ . . . . . .
ـ لا احد .. لا احد ابدا .

ثم اجهشت بالبكاء .

مصطفى ابو النصر

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينان
او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيـمة الاشتراك مقدمـا

حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعـــلانات

يتفق بشانهـا مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب ٤١٢٣